صناعة الفخار العراقي من أقدم العصور حتى نهاية التاريخ القديم

ا.د. غسان طه ياسين (*)

تمهيـــــد

اتسمت الحضارة العراقية القديمة بصفة الأصالة ، فقد نبعت من أرض العراق، ثم نمت وتطوّرت وانتشرت في مناطق بعيدة وأثرّت وتأثّرت وازدهرت ووصلت إلى درجة عالية من التطوّر نتيجة للتجاوب السريع الذي حدث بين الفرد العراقي وبين البيئة التي عاش فيها. فقد هيّأت البيئة في العراق مقومات الحياة وكان في مقدّمتها الماء والطين، فبنى المعابد ، والقصور ، والبيوت ، والأسوار ، والزقورات، والمقابر وكتب على الطين وصنع تماثيله وأدواته الأخرى من الطين، فكانت صناعة الفخار إحدى أهم الصناعات القديمة التي عرفها الإنسان العراقي منذ النصف الثاني من العصر الحجري الحديث ، واستمرت صناعة الفخار بالتطور عبر عصوره القديمة والإسلامية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه هذه الصناعة من تطور في الوقت الحاضر.

إن مستوى التقنية التي توصّل إليها الفخاريون العراقيون يمكن ربطها بعاملي الزمان والمكان ، فأما ناحية الزمان فيمكن تحديده ا عن طريق دراسة أشكال الفخار

(*) أستاذ في قسم الآثار/ جامعة الموصل سابقا ويعمل حاليا في الجامعة الإسلامية في ماليزيا / قسم التأريخ والحضاره.

وطرزه وزخارفه وألوانه أو بواسطة تاريخ التألق الحراري الضوئي أو بالطريقة المغناطيسية.

وأما ناحية المكان فيمكن تحديده ا من خلال دراسة مادة الفخار (الطين) بواسطة الطرق العلمية الحديثة - التي أثبتت بأن سكان بلاد الرافدين كانت لهم تقنية عالية في صناعة الفخار تطوّرت بمرور الزمن، وهذا ما سيوضّحه البحث.

أهمية الفخار

تكمن أهميّة دراسة الفخار العراقي القديم في كونه أحد المؤشّرات الحضارية لثقافة الشعب العراقي ويمثّل مستواه الثقافي لأي عصر من عصوره القديمة، ويُعد مؤشّراً حقيقيّاً للتطوّر التقني والحس الفنيّ، وهو أحد أقدم الابتكارات التي ابتدعها الفرد العراقي، فظهوره يُعدُّ علامة دالة على بداية عصر جديد من تطوّر حياة الإنسان ، والمصدر الرئيس ي في الدراسات الآثارية، لكونه من أكثر المخلّفات انتشاراً وأوسعها استعمالاً، فهو يعطي مؤشراً للاتصالات التجارية ومؤشراً لتحرّك الشعوب ، وترجع أهميته أيضاً إلى كثرة استخدامه في الحياة اليومية ، وسهولة توفّره ورخص ثمنه فضلا عن كونه الأداة الأكثر شيوعاً التي ترافق الموتى وهذا ما أكّدته الأدلّة الأثرية في جميع أنحاء العراق، وعبر تاريخه القديم ، ولهذا يُعد من أهم الأدلّة التي يستعين بها المنقّب لتحديد الطبقات الأثرية.

يُظهر الفخار أحياناً التغيّر الاجتماعي والسياسي وحتى الاقتصادي، ففخار عصر حلف أحسن بكثير من فخار عصر العُبيد الذي تلاه، ويُفسّر ذلك بسبب التغيّر الاجتماعي والمدني بزمن العُبيد الذي تطوّرت فيه صناعة المعدن، ومن ثم ظهور المؤسسات الحكومية وإقامة دولة المدينة في العصور التاريخية ، ونشوب الحروب

أثّرت على المستوى التقني لصناعة الفخار فأصبحت الصناعات الفخارية نفعية ، وتعدّدت أغراضها دون التركيز على الجانب الجمالي كما كان سائداً في فخاريات سامراء، وحلف، والعبيد.

وتكمن أهميّة الفخار بأنه يقدّم سجلاً عن حياة الأقوام العراقية القديمة ، وأشكال آلهتهم ومعتقداتهم من خلال الصور والنقوش التي رسموها على فخارياتهم، ويعطي مؤشراً على معالم أخرى دقيقة بما في ذلك انتقال الفخاريين أنفسهم من مكان إلى آخر، وأخيراً يمكن القول بصورة عامة إن الفخار يبني الهيكل الثقافي العام، لأنه قاوم الزمن منذ بدايات صناعته بحدود ما قبل 9 آلاف سنة من الوقت الحاضر، إذ استطاع المتخصصون من تصنيف الفخار بحسب الأدوار الحضارية المتتابعة التي مرّت على الموقع الأثري كما أمكن تصنيف تلك الكسر والأواني بالنسبة إلى مكان الصنع أيضاً ، وهكذا أصبحت الأواني الفخارية أو كسرها من أهم أدلّتنا الآثارية على تاريخ الطبقات السكنية والأدوار الحضارية في حالة غياب النصوص المدوّنة والأدلّة الآثارية الأخرى لاسيما في عصور ما قبل التاريخ.

بداية الصناعة[1]

ارتبطت صناعة الفخار بالظروف البيئية والبشرية التي رافقت التغيّرات التي حدثت في نهاية العصر الحجري الوسيط وبداية العصر الحجري الحديث، فعندما انسحب آخر زحف جليدي بحدود الألف العاشر قبل الميلاد ، وأخذت الأمطار

(1) تشير الأدلة الأثرية بان الفخار صُنع لأول مرة من قبل صيادي وجامعي القوت في اليابان قبل عشرة آلاف سنه ماضه في ثقافة جومون.(Jomon)

Akazawa, T. and Aikens C.M (1986) Prehistoric Hunter- Gatherers in Japan. Tokyo Univerity) Museum Bulletin 27.

بالتذبذب في العراق ، ومناطق الشرق القديم ، دفعت بالإنسان إلى تغي يِ مواضع سكناه القديمة إلى مواضع جديدة يتوفر فيها مستلزمات الحياة ولاسيما المياه ، فاستقَّر الإنسان بالقرب من وديان الأنهار والسهول والعيون والينابيع ، فكان من أبرز نتائج هذا الاستقرار هو التحوّل من مرحلة جمع القوت إلى إنتاج ه، فتعلّم الزراعة ودجن الحيوان وطوّر صناعاته ، فكانت صناعة الفخار في مقدمة الصناعات التي ابتكرها الإنسان العراقي بعد استقراره ، مستفيداً من خبراته السابقة في صنع أدواته من الحجارة، والعظم، والجلد ومن أغصان الأشجار خلال العصر الحجري القديم الأعلى والوسيط .

إنّ صناعة الفخار لم تكن وليدة الصدفة كما يعتقد بعضهم؛ لأن هذه العملية تحتاج إلى قدرٍ كبيرٍ من التفكير الصناعي والاستعداد الفنّي، والمتتبّع لأنواع الفخاريات القديمة يلاحظ تطوّراً من صناعة هشة سميكة سمجة غير مدلوكة وغير ملوّنة ومزخرفة إلى صناعة صلبة دقيقة ومدلوكة ولمّاعة أحياناً وملوّنة بلون واحد أو أكثر ، ومزخرفة بزخارف هندسية أو طبيعية سواء أكانت بشرية، حيوانية أو نباتية- فكانت ثورة في عالم التصنيع لا تقلّ أهميتها عن أي ابتكار توصّل إليهالإنسان عَبّرَ فيه عن نفسه واحتياجاته من خلال هذه الأشكال المجرّدة، فكانت البداية بسيطة حقاً، ولكنها تطوّرت وأبدع فيها الفخاريون العراقيون عبر تاريخ العراق القديم

مادة الفخار

إنّ المادة الأساسية لصناعة الفخار هي الطين (Clay)، والطين مادة غروية لدنة لا تُرى بالعين المجرّدة، وينشأ عن تفكّك وانحلال أنواع من الصخور وحجم ذرّاته تقل عن (0.002 mm). ويمكن تقسيم الطين الذي يظهر في الطبيعة إلى مجموعتين كبيرتين:

المجموعة الأولى تتكوّن مباشرةً تحت الطبقة الصخرية والتي تتحلّل في موضعها وتُسمّى عادةً بالطين الأساسي، والمجموعة الثانية تنتقل من مكان إلى آخر بواسطة الأنهار والثلوج، والرياح أو البحار ويُطلق عليها الطين الثانوي، فمعظم الطين المستخدّم في صناعة الفخار يقع ضمن**المجموعة الثانية**. فمادة الفخار ما هي إلا نتيجة جيولوجية، لا يمكن فهمها إلا عن طريق فهم التكوين الجيولوجي لأي قطر، وقد أكّد ذلك بيورنك الذي درس تربة العراق[2]، وأكّد هذا أيضاً مجاتي اذ أشار الى ان الفخار المصنوع محلياً يجب أن يعكس التكوين الجيولوجي للموقع أي يحتوي على مواد متشابهة، بينما الفخار المستورد فإنه بلا شك يحتوي على مواد مختلفة[3].

والطين العراقي المستخدم في صناعة الفخار متوفر في كل مكان ، وهو في جوهره يحتوي على مقدار كبير من مركبات الكالسيوم والحديد مع كميات كبيرة من الرمال المتغيّرة[4]، ونؤكّد هنا أن ليس كل طين صالح لصناعة الفخار، إلا الجيد منه الذي تتوفّر فيه مواصفات خاصة من حيث تناسق جزئيات المادة والمعادن الموجودة في الطين وقد أدرك الفخاريون في العراق القديم هذه الظاهرة وميزوا بين نوعين من التربة أحدهما صالح لصناعة الفخار والأخر غير صالح.

طريقة صناعة الفخار (شكل 1)

قبل الحصول على آنية فخارية صالحة للاستعمال يجب أن تمر بعدة مراحل:

(2) Buringh, P.; 1960: Soil and Soil Conditions in Iraq, pp. 34-35. Baghdad, pp. 34-35

(3) Maggetti, M.; 1982: "Phase Anaylsis and Its Significance for Technology and Origin". In Olin, J., and Franklin, A. eds., Archaeological Ceramics: p. 130. Washington, D.C.

(4) Matson, F. R.; 1971: A Study of Temperature Used in Firing Ancient Mesopotanian Pottery, In Brill, R. H., ed., Science and Archaeology: p. 65. Cambridge, Massachusetts: MIT Press.

المرحلة الأولى

إعداد الطينة أو العجينة للعمل ، وتحتاج هذه العملية إلى عمليات أخرى فرعية . فإذا كانت الطينة غير نقية يجب أن تُنظّف أو تُغسَل وإذا كانت خشنة الجزئيات يجب إزالتها وبالعكس ، إذا كانت الجزئيات ناعمة جداً يجب تعديلها بإضافة مواد أخرى لكي يكون ثمة تناسق في جزيئات المادة الفخارية بحيث تكون صالحة الاستعمال فيضيف الفخاري بعض المواد المعدلة ، وهذه إما أن تكون عضوية نباتية كالتبن مثلاً ، أو غير عضوية كإضافة كسر من الفخار والطابوق الناعم أو الحصى أو الرمل أو المحار . والغاية من إضافة هذه المواد المعدّلة هو التقليل من تقلّص الإناء أو زيادة تماسكه خلال عملية الفخر[5] .

وبعدها تتم عملية تخمر الطين وتختلف الفترة من حيث نوع المادة ، والمناخ السائدين فهذا يحدّده الصانع من خلال خبرته وقد أدرك الفخاريون العراقيون القدماء هذه المرحلة جيداً وأبدعوا فيها.

المرحلة الثانية (شكل 1 ج ، د ، هـ ، و ، ي)

وهي مرحلة تشكيل العجينة وتتم بعدة وسائل: الوسيلة الأولى بواسطة اليد ، وتتم بعدة طرق فإما أن تُشكّل العجينة على شكل حلزونات تُبنى طبقة فوق الأخرى ، أو بواسطة الضغط حيث يُشكل الطين على شكل كُرة ثم يبدأ الصانع بالضغط لعمل تجويف من الداخل ، أو تشكيل العجينة على شكل شرائح تُلصق الواحدة بالأخرى لعمل الوعاء المطلوب ، فطريقة التشكيل باليد تُعد من أقدم

(5) Joukowsky, M; 1980: A Complete Manual of Field Archaeology, Tools and Techniques of Field Work for Archaeologists: pp. 363-368. Graydon C. Wood. U.S.A.

الوسائل التي عرفها الإنسان العراقي القديم منذ أن عرف صناعة الأواني المصنوعة من الطين، إلا أنها تحتاج إلى مهارة فنية فائقة.

والوسيلة الثانية هي استعمال الدولاب في عملية التشكيل ، وقد عرف العراقيون القدماء الدولاب منذ عصور ما قبل التاريخ من فترة تبه كوره الطبقة (IX) ونينوى الطبقة (III) وفي نوزي الطبقة (X) خلال فترة العبيد أو ربما أقدم وتطوّر الدولاب من بطيء الحركة إلى سريع الحركة في عصر الوركاء ، وكان يدار إما باليد أو بالقدم[6].

أما الوسيلة الثالثة، فهي التشكيل بواسطة الصب في القوالب وتُستعمل هذه الطريقة في الإنتاج التجاري واستعمالها في العراق القديم غير موجود ، بيد انه قد استخدمت القوالب في صناعة الدمى الفخارية .

المرحلة الثالثة

وهي المرحلة التي يُترك فيها الإناء ليجف بعد تشكيله وقبل حرقه وزخرفته فيصبح الإناء مُعَدّاً للحرق فيزخرف وتوضع فيه بعض الأحيان الأصباغ فيتحوّل بعد ذلك من طينة جافة إلى فخار بعد حرقه .

المرحلة الرابعة

وهي مرحلة طلاء الأواني وزخرفتها . وفي هذه المرحلة يظهر الذوق الفني وهي عملية معقّدة متشعّبة ، فالفخار يحتاج قبل الزخرفة إلى طلائه بمادة خفيفة تشبه مادة الصبغ أو تختلف عنه ويصقل الإناء ويزخرف ويلوّن أحياناً قبل الحرق أو بعده.

(6) أبو الصوف ، بهنام : "ملاحظات حول نشأة دولاب الفخار وتطوره في العراق" ، سومر ، 1965م ، العدد 21 ، ص 119-122 .

صناعة الفخار حسب الفترات

صناعة الفخار في العصر الحجري الحديث

صناعة فخار جرمو (شكل 2)

كان أول ظهور لصناعة الفخار في العراق القديم في النصف الثاني من العصر الحجري الحديث في شمال العراق وذلك في النصف الأول من الألف السابع قبل الميلاد في قرى جرمو، وحسونه، وأم الدباغية .

ففي قرية جرمو ظهر الفخار لأول مرة في الطبقات الخمس العليا (5-1)، ويمكن تقسيم صناعة الفخار إلى مجموعتين :

المجموعة الأقدم: وهي ممثلة بالطبقتينِ الخامسة والرابعة .

المجموعة الأحدث: وهي ممثلة بالطبقات (3 ، 2 ، 1) .

ويبدو أن صناعة الفخار في الطبقتين الخامسة والرابعة أفضل؛ إذ تزيّنها خطوط حمراء مائلة وتُعرف باسم فخار جرمو الملوّن أو المصبوغ على سطوح صفراء برتقالية أو محمّرة .بينما أظهرت الطبقات التالية (3 ، 2 ، 1) صناعة رديئة سمجة قليلة الحرق ثخينة الجانب معمولة باليد ولاتخلو أحياناً من التلوين أو التطعيم بحزوز[7].

إن هذا الاختلاف في الصناعة دفع الباحثين للاعتقاد بأن الفخار الأقدم قد دخل إلى العراق من جهة الشرق ، ربما من تبة كوران إلى الجنوب من كرمنشاه

(7) Mellaart, J.; 1980: "The Earliest Settlement in Western Asia from the Ninth to the End of the Fifth Millennium B.C." In C. A. H., Vol. 1. Part 1., p. 259, Cambridge University Press.

بإيران الطبقات (P-H) . ولكن الدراسات التي قام بها الباحثون على فخار جرمو تؤكد على أن هذه الفخار صُنع محلياً[8].

وأكد كلاً من روبرت أدم و فردريك ما تسون أن انتشار فخار جرمو امتد إلى موقع على أغا في إيران ، وفي الطبقات السفلى من حسونة (Ia)[9] وأن الأخير انتشر بين فخار مواقع سامراء ، وحلف في الشمال ووصل إلى جوخة مامي[10] وقد يؤرخ هذا الفخار بالثلث الأخير من عصر حضارة جرمو الذي يشغل الفترة من حوالي 6750-5800 ق.م.

صناعة فخار حسونة (شكل 3)

تنسب هذه الصناعة إلى قرية حسونة في محافظة نينوى ، وقد أظهر فخار حسونة في تشابه الإنتاج المبكر (من أقدم طبقاتها الأثرية Ia مع فخار جرمو الخشن .

قُسِّمت صناعة الفخار في حسونة حسب ظهورها الطبقي إلى الفخار المبكر العتيق ، ويشمل الطبقات (Ia ، Ib ، Ic) ، حيث كشف التنقيب الأثري على ست عشرة طبقة أثرية أقدمها هي الطبقة Ia التي تعلو الأرض البكر مباشرة ، وتمثل بداية عصر حضارة حسونة ، ويلي هذه الطبقة الطبقتان Ib ، Ic أما أحدث هذه الطبقات فهي طبقة XV من عصر حضارة العُبيد.

صُنع الفخار المبكّر (العتيق) من مادة طينية غير نقية وهشّة وتغلب عليه النوعية الخشنة (حوالي تسع ة وعشر ين إناء) وتقلّ النوعية المصقولة التي لم يتجاوز ما عثر عليه منها ثمان كسرات آنية تحمل إحداهما أثر طلاء استخدم فيه

(8) Matson, F. "A Study of Temperature". Op. Cit., p. 37.

(9) Braidwood, R. & Howe, B. "Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan". Chicago, p. 44

(10) Oates, J.; 1966: "First Preliminary Report on a Survey in the Region of Mandali and Badra", Sumer, 22: p. 53.

غالباً اللون الأحمر فوق أرضية مصفّرة أو بُنيّة ويكثر صقل الفخار ابتداءً من الطبقة Ib ويستمر حتى الطبقة VI .

وصُنع في هذه الفترة- أيضاً- الفخار المحزز بتصميمات حُفرت على أرضية الإناء المصفرة أو القرمزية بأداة ذات سن حادّة، ربما كانت من العظم أو الظران، وتبدو غالبية هذه التصميمات في شكل سعف النخيل أو سنابل القمح، فقد وُجد هذا الفخار المحزز ابتداءً من الطبقة Ib وكذلك الفخار الملوّن الذي تتنوّع ألوانه من البني المحمر إلى البني والأسود ، ويندر فيه اللون الأحمر الذي كان سائداً في الفخار العتيق . وتكثر التنوعات المبكّرة من هذا الفخار الملوّن ابتداءً من الطبقة Ic والأسلوب الغالب في زينته هو مجموعات الخطوط الما طة التي تتقاطع أحياناً فتحصر فيما بينها مربعات صغيرة، ولا تُستخدم فيه الخطوط المموجة [11]. ويظهر فخار حسونة المحزز والملوّن في تل الصوان ابتداءً من الطبقة II الذي يختفي فيه الفخار العتيق كما كشف عنه في أقدم الطبقات الأثرية بموقع (نينوى I) وفي تل مطاره وتل شمشاره وفي يارم تبه .

ويبلغ فخار تل حسونه الذي أطلق عليه فخار حسونه الخاص أو النموذجي في الطبقات من III إلى V التي تكشف عن نوعيات متقدمة من الفخار المحزز ، والملوّن الذي بدأ ظهوره من الطبقات Ic ، كما تظهر- أيضاً -ابتداءً من الطبقة III بتل حسونه نوعية جديدة من الفخار تتميّز بأسلوب خاص في الزينة ، وخاصةً النماذج من الأشكال الحية التي يمثّل إحداها وجه بشري ، كما يكثر فيها تصوير الحيوانات.

(11) Lloyd, S. and Safar, F.; 1945: "Tell Hassuna Excavations by Iraqi Government Directorate General of Antiquites in 1943 and 1944", JNES 4: pp. 279, 286.

واستخدام الخطوط المتموجة ويطلق عليها فخار حسونه المتطوّر أو فخار سامراء [12]. حيث مثلت بصورة واضحة في الطبقات V-VI وهذا على غرار النوعين السابقين القديم والنموذجي المصنوع باليد ، ويحتوي على شوائب طبيعية وسطوح مدلوكة وناعمة ، وذات طلاء ذاتي ، وألوان الفخار تدلّ على أن التسخين كان في جو مؤكسد أما الألوان فكانت من اللون الأحمر والبني والت بني والأسود وأصلها معدني وأهم شيء يربطها بالأنواع الأخرى هو التلوين والتحزيزفي الوقت نفسه.

كما ظهر فخار حلف في الطبقات VI-X يليه فخار العُبيد الشمالي في الطبقات XI-XII بينما ظهر فخار يعود إلى فترات متأخرة من الطبقات XIII-XVI وهذا ما سنوضحه حسب التسلسل الزمني لصناعة الفخار في العراق .

صناعة فخار سامراء (شكل 4)

تطوّرت صناعة الفخار في هذه المرحلة فقد اكتشفت في الطبقات السفلى من المدينة الإسلامية في سامراء نماذج جديدة متطوّرة توازي ما ظهر في حسونه الطبقات V-VI مع فخار حلف وفخار العُبيد أحياناً أخرى وقد أثبتت هيئة التنقيب من تل حسونه بأن فخار سامراء أقدم من فخار حلف لوجود بقايا من حضارة حلف فوق آثار سامراء[13].

إن أهم ما يميّز صناعة فخار سامراء نماذج حية لموضوعات طبيعية كالطيور والأسماك ، ولأشكال بشرية أنثوية ، تبَدو شعورهن كمجموعة من الجذائل المتموجة التي يوحي شكلها بمياه جارية تعبّر عن سريان غدير، ويحيط بالإناث أشكال لكائنات يرجح أنها أحياء مائية وتبدو هيئتها كالعقارب .

---

(12) Ibid, pp. 16-18.

(13) بصمة جي، فرج "بحث في الفخار، صناعته، وأنواعه في العراق"، سومر، 1948م، العدد 4، ص 19) .

صنع فخار سامراء باليد بملمس ناعم وطلاء ذاتيوألوان حمراء بنية وسوداء، أما أشكاله فهي في الغالب طاسات وجرار وصحون وزخارف هندسية ذات معان عميقة فعلى إحداها تشاهد أربعة مخلوقات تشبه الغزال تدور حول شجرة اتجهت أغصانها إلى جهات معاكسة وجهاً و أربعة طيور مائية ذات ريش كل واحد منها يمسك سمكة في منقاره، وعلى صحن آخر أربع نساء محاطات بحلقة من العقارب تشكل أربعة أطراف لصليب وتنساب شعورهن الطويلة المنسدلة في الهواء.

هذا الأسلوب بكل تبسيطاته يُعد أسلوباً تصويرياً رفيعاً، بل طبيعياً ومن المهم أن نلاحظ كيف أخذت التحوّلات تنتشر من الشكل التصوّري إلى التجريد الكامل في فن سامراء فالمثال المألوف هو رمز الصليب المالطي الذي كان في الأصل يمثّل أربعة تيوس تجري حول بركة ماء ، فعن طريق عملية تخطيطية موسّعة انتهت الأجسام التي تشكّل مثلثات لفروق وذيول وأقدام مطموسة لم يبقَ منها سوى العناصر التركيبية الأربعة للصليب كل هذه الرموز بمعاني ها الفنيّة إنما تعبّر عن آمال ومخاوف ، فالمعزات الدائرة والصليب المعكوف الذي تؤلّفه شعور النسوة الأربع ، إنما قصد بها بكل جلاء الرمز إلى قوّة الحياة الدائمة في كل المخلوقات البشرية والحيوانيّة التي تدور في حلقات لا نهاية لها .

لا يعني هذا أن الأشكال الحية كانت الأسلوب الوحيد السائد في صناعة فخار سامراء إذ كان منه ما يزين بخطوط متقاطعة صُنعت فيما بينها مساحات محدّدة ملئت بأشكال هندسية مثل المثلثات والنقط ، ولم تخلُ بعض هذه التصميمات من الجمع بين الأسلوبين (الشكل الحي والشكل الهندسي) كان يضاف إليها في خطوط ، عنق ورأس حيوان ذي قرنين كبيرين وذيل[14].

(14) Parrot, A.; 1960: Sumer. Fig. 61(A)London, p. 45.

صناعة الفخار في العصر الحجري المعدني

صناعة فخار حلف (شكل 5 ، 6 ، 7)

تُنسب هذه الصناعة إلى تل حلف الذي وجدت فيه لأول مرة صناعة متطوّرة جديدة من قبل البعثة الألمانية من متحف برلين الأعوام (1911م، 1913م، 1929م).

إن أهم تغيّر حصل في صناعة فخار حلف هو التلوين بأكثر من لون (Polychrome)، فكانت هناك أواني لونت بلون مزدوج باستخدام اللون مرة من صباغ داكن، وأخرى من صباغ فاتح كما استُخدم لونان وثلاثة ألوان مثل البني ، والأحمر الداكن ، والبني الداكن والأسود ، والأبيض. تُعد فخاريات عصر حلف أجمل ما جاءنا من فخاريات ليس فقط في العراق ، بل في منطقة الشرق الأدنى القديم وأتقنها صنعاً وزخارفها انعكاس لواقع الوجود الاجتماعي في تلك الفترة.

اكتشف فخار حلف في مواضع عدة في الشمال والشمال الشرقي والغربي من العراق، ويُعد تل الأربجية في الموصل والمكتشف من قِبل البعثة البريطانية من أفضل المواقع التي اكتشف فيها فخار حلف (1933-1934م). كذلك وجدت بعثة أمريكية في تل تبة كوره فخاراً مماثلاً لفخار حلف، وهذه الفخاريات تماثل من حيث زخرفتها ودقة صنعها فخاريات أوغاريت (راس شمره) من الطبقة الرابعة، وقد انتشرت هذه الحضارة على شكل قوس من نهر الفرات إلى أعالي نهر ديالى، بينما كانت الحدود الجنوبية لهذه الحضارة محدودة بشكل دقيق فإنه من المحتمل أن تكون جبال طوروس حدودها الشمالية من جيوب منتشرة هنا وهناك في الهضبة الأناضولية إلى الشمال من هذه الجبال[15].

(15) Mellaart, J.; 1978: Earliest Civilization of the Near East, New York, p. 119.

يمكن تمييز نوعين من صناعة فخار حلف، النوع الأول خاص بالمناطق الشرقية من حلف وعُرف في موقع الأربجية وموقع تبة كوره قرب الموصل. والفرع الثاني: هو النوع الخاص بالمنطقة الغربية وقد عُرف في مواقع شاكر بازار وحلف وكركميش وتل يونس في سورية، وتتميز كل منطقة من هاتين المنطقتين بنوع خاص من الفخار وأشكال وتزينات خاصة ومختلفة، وقد شخص ثلاث مراحل من التطور لفخار حلف في تل الأربجية الذي يُعد مفتاح هذا الفخار. فوجد بين الفخار المبكر والمتأخر فخار المرحلة الانتقالية أو المتوسطة وهو أفضل فخار جاءنا من هذا العصر، ففخار العصر المبكر يقع (ما قبل الطبقة 10) والمتوسط من (الطبقة10-7) والمتأخر يشتمل على (الطبقتينِ6-5)[16].

وعلى الرغم من هذا التحديد لمراحل فخار حلف فالصعوبة تبقى في وضع فواصل واضحة لاسيما ما يحدث من تداخل بين المرحلة السابقة واللاحقة ، فالفخار المبكر في حلف يتداخل مع فخار حسونة المتأخر ، وكذلك فخار حلف المتوسط يتداخل مع المبكر والمتأخر وهكذا.

صناعة الفخار في عصر حلف المبكر (شكل 5)

يتداخل فخار حلف المبكر مع صناعة فخار سامراء المتأخرة من حيث معالجة الطين ، وتشابه الأوعية الفخارية ، وتصاميم الأشكال الزخرفية بصورة محدودة . ويمتاز فخار حلف المبكر بشيوع استخدام القشرة (slip) وأن عدداً من الفخاريات كانت مصقولة واستخدمت الألوان اللماعة مثل الأحمر– البني ، كما شاعت الأوعية الصغيرة مثل الطاسات والفوهات الواسعة والمفتوحة وذات الجوانب الحادة ، وظهر في هذا العصر أيضاً تصميمات وأشكال لمشاهد طبيعية

(16) Mellaart, M.E.I. and Rose, J.C.; 1925:"Excavations at Tell Arpachiyah 1933". Iraq.II.pp.1-178.

تمثل حيوانات مثل الأيل، والحمار الوحشي، والطيور، والسمك، والأفاعي. وأشكال بشرية (كل هذه الفخاريات والأشكال تشبه فخار سامراء)، ويمكن القول بأن هذه الفخاريات شائعة في عصر حلف المبكر في تل الأربجية، واستمرت أشكالها وتصاميمها الحيوانية بكثرة إلى عصر حلف الأوسط ، فعلى سبيل المثال ما وجد في تل حلف ويارم تبه وفي تل يونس بالقرب من كركميش أو ربما في الجهات الغربية بصورة عامة. ومن الأشكال الأخرى التي ظهرت في حلف المبكر رؤوس الحيوانات من ضمنها الثيران (البوكرانيوم) والموفلون (Mouflflon). مثل هذه الزخارف وجدت في فخاريات أم الدباغية ، ولكن في هذا العصر نقشت بالألوان، والأشكال الهندسية . كالنمر المنقط (دائرة محاطة بنقاط) وأشكال البيض والنقاط وألو اح زخرفية ملئت بزخرفة عظام سمك الرنكه (herring bones) وخطوط متموجة وجدت هذه الزخارف ممثلة بصورة شائعة في الطاسات، وظهر ما يماثلها في شمال سوريا في موقع عمود B، وتعتبر المربعات التي ملئت بالنقاط من الزخارف النموذجية وتماثيل هذه الزخارف المحززة والملونة بالمادة البيضاء في فخار مارسين الطبقات (XXIV-XX) وفي سكجه كوز والتي تعود إلى نهاية عصر حلف المبكر وبداية عصر حلف المتوسط[17].

صناعة الفخار في عصر حلف الأوسط (شكل 6)

أظهرت صناعة الفخار من هذه الفترة تقنية عالية بالمقارنة بأشكال فخاريات حلف المبكر، فقط أهملت بعض أنماط الأشكال وأضيفت أشكال أخرى، ودخل تأثير اللون الفاتح على اللون الغامق وقد أدَّى هذا دوراً أساسياً في النصف الثاني من هذا العصر، ودخل اللون الأبيض على أرضية تبنية أو سمراء عادة بشكل تصاميم أو

(17) Mellaart, J.; 1981: The Neolithic of the Near East, London: Thames and Hudson. pp. 157-158.

نقوش منقطة، وتتحول الخطوط إلى أشكال مصورة بالنقط على فخار مصقول غامق، وقد شاع هذا في شمال سوريا وكيليكيه (Cilicia) . كما أظهرت فخاريات هذا العصر، تطور في الزخارف الهندسية والنباتية على نطاق ضيق يعقبها أشكال لرؤوس حيوانية خاصة قرون الثور ومشاهد طبيعية وجدت في يارم تبه الطبقات III و IV وفي تل حلف وتل يونس وتنوعت أشكال الأواني الفخارية ، كالطاسات والجرار ، والكؤوس والطاسات ذات القواعد الطويلة المرتفعة البو قيّة الشكل بينما شاعت القواعد المنبسطة في أواني هذا العصر، والحافات البارزة نحو الخارج .

صناعة الفخار في عصر حلف المتأخر (شكل 7) :

عُرفت هذه الصناعة بصورة واضحة في موقع الأربجية الطبقات (IV-V) وفي تبه كوره حيث امتازت بالفخار المتعدد الألوان مثل الأحمر، والأبيض، والبني على قشرة مشمشية اللون والتي شاعت في أماكن أخرى إلى الشرق من دجلة بينما شاعت صناعة الأشكال الفخارية في أماكن الخابور والغرب بصورة عامة حيث قَلَّ فيها النقوش مثل الصحون والطاسات والجرار وقل انتشار فخار هذا العصر عما سبقه، وقلت الكميات المصنوعة وقد لوحظ انتشاره في الجهات الشرقية واتصاله بالثقافتين حسونه وسامراء ووصل إلى شمشاره وجوخة أمامي ومنطقة حمرين وتأثرت ثقافة حجي محمد في الجنوب بثقافة حلف. كما شخصت هذه الصناعة في المنطقة الوسطية والقريبة من الخابور وتل حلف وشاكر بزار وتل براك .

أما من ناحية الزخارف الحيوانية في هذا العصر فلم تكن منتشرة في المنطقة المركزية ولكن تأثرت بها المناطق المجاورة الجديدة التي خصصت لتأثر ثقافة

حلف مثل تل شمشاره وراس العميه ووصل زخارف رسوم قرون الثور (البوكرانيوم)[18] إلى منطقة خوزستان .

إن أهم ما تمتاز به صناعة المرحلة الأخيرة هي الأطباق المتعددة الألوان والمزودة بزخارف مركزية كالوردة أو صليب ملطا ، وقد أصبحت هذه الأطباق إحدى المنتجات البارزة في فخار الشرق الأدنى ، فالحقيقة أن الأشكال والنماذج المرسومة على الأواني الفخارية تُثبت وجود تطور كبير في صناعة النسيج الذي كان من الصوف بشكل رئيسي ، ويعد هذا العقد أول مرحلة باستخدام الرصاص والنحاس لعمل الدبابيس والدلايات في تل الأربجية[19].

أكد كل من ديفيدسن (Davidson) وإسماعيل حجاره في بحثهما عن فخار حلف ، بأن أصل هذا الفخار هو العراق وأنه ينحصر في المنطقة المحيطة بالموصل . وقد أبانت الترتيبات في مواقع الأربجية وتبه كوره ويارم تبه II على وجود تسلسل طبقي لفخار حلف والعبيد . ومن خلال المسح الأثري ، ودراسة الأشكال والزخارف والتحليلات المختبرية على كلا الفخارين تأكّد لهذين الباحثين بأن أصل ومنشأ هذين الفخارين هو العراق[20].

(18) يعتقد ميلارت أن رسم قرون الثور على فخار حلف وشيوعه بكثرة والتفنن بأشكاله كان له دور كبير في معتقدات سكان خلف الدينية فإنه لا يدل على تدجين هذا الحيوان ، بل على العكس من ذلك فإنه كان حيواناً بريئاً يكنون له كل الإجلال والتعظيم، لأنه رمز الخصوبة المذكرة

(Mellaart, J. Earliest Civilization.Op. Cit. p. 123)

(19) Mellaart, J.; 1980: The Earliest Settlement. OP. Cit., pp. 276-281.

(20) Higara. 1. H.; 1980: The Halaf Period in Northern Mesopotania. Ph. D. Thesis, Unpublished. London.

Davidson, T. E., and Nckerrell, H.; 1980: "The Neutron Activation Analysis of Halaf and Ubaid Pottery from Tell Arpachiyah and Tepe Gawra". Iraq. Vol. XLVII: 163.

وفي تحليل آخر لديفيدسن لكل من فخار حلف والعبيد من موقعين تبه كوره والأربجية أظهرت نتائج التحليل بالانبعاث الذري بأن مصدر كل من فخار حلف ، والعبيد واحد. وهو مكان قريب من موقع الأربجية الذي يعتبر مركزاً لتصدير الفخار خلال عصر حلف وأثبت التحليل بالانبعاث الذري لفخار تبه كوره الطبقات XX-XVII بأن الفخار العبيدي صنع من الطينة نفسها التي صنع منها فخار حلف[21].

صناعة الفخار في عصر العبيد / جنوب العراق

انتقل مركز الثقل الحضاري من القسم الشمالي للعراق إلى القسم الجنوبي بنهاية عصر حضارة حلف في أواخر الألف السادس وبداية الألف الخامس بعد أن اكتسب الإنسان خبرة طويلة في تلك المناطق واستطاع مواجهة التحديات البيئية في القسم الجنوبي ، ويبدو هذا واضحاً مما قدمه من إنتاج حضاري متفوق منذ بدء استقراره لهذا القسم (حضارة اريدو)، وهو إنتاج لا يصير بأي حال عن حضارة بدائية ناشئة[22].

مرت صناعة فخار العبيد بأربع مراحل حسب ظهورها الطبقي في موقع اريدو الذي يُعد أقدم موقع لأقدم مدينة سومرية مكتشفة لحد الآن استناداً على الاعتقاد السومري القديم الذي يعدّ مدينة اريدو أقدم المدن السومرية حيث هبطت الملوكية فيها بعد حدوث الطوفان، وتحمل هذه الحضارة وحدة ثقافية واح دة. أطلق عليها حضارة العبيد[23].

(21) Davidson, T. E.; 1977: Regional Variation within the Halaf Ceramics Tradition London Ph. D. Thesis, Unpublished. P. 83.

(22) Jawad, A.; 1974: "The Eridu Material and Its Implications". Sumer, 30: pp. 21-23.

(23) وضعت جوان أوتس تسلسلاً لفخار العبيد استناداً إلى تنقيبات فؤاد سفر وستين لويد 47-1948 في اريدو التي أُجريت في طبقات المعابد ، وقُسمت إلى أربع أدوار العبيد الأول (اريدو) الطبقات 19-16، العبيد الثاني (دور حجي محمد) الطبقات 15-12، العبيد الثالث (تل العبيد)، الطبقات 12-8، العبيد الرابع (تل العبيد) ممثلاً بالطبقات 6-7 .Oates, J.; 1960: "Ur and Eridu: The Prehistory, Iraq. 22, p. 33

1- صناعة فخار العبيد الأول (اريدو) : الطبقات (19-16) (شكل 4)

تنسب هذه الصناعة إلى موقع اريدو وتتميز صناعة فخار الدور الأول بوحدة اللون (monochrome) الذي غالباً ما يكون بنياً غامقاً تزينه زخارف بسيطة كالخطوط الصغيرة التي تشبه الأسلاك ، والأشكال الهندسية كالمثلثات الصغيرة أو الخطوط المتعرجة تتخللها خطوط مستقيمة .

قسم من فخار اريدو مصنوع على دولا ب بطيء الحركة وملون في معظم الأحيان بألوان ثابتة وأحياناً على أرضية بيضاء بأشكال هندسية والتقنية هي الألوان المائية . أما الأشكال الطبيعية، فهي نادرة. وتختلف الألوان كثيراً من قطعة إلى أخرى. ويعتمد ذلك على درجة الحرارة ، ويغلب اللون القرمزي الغامق والألوان المائلة للخضرة وأكثر الأشكال شيوعاً هي الأوعية الكبيرة ذات الجوانب المنخفضة والملونة بكثرة من الداخل وقلما يكون لها صنبو و هي دائماً بدون عرى.

ويمتاز فخار اريدو بمادة صفر اء فاتحة ناعمة وقشرة كريمية (صفراء شاحبة) وقد زخرفت بكثافة ، غالباً تصبغ بصبغ لمّاع ، والأغلب لُوّن بلون بني غامق . وقد يتغير من البني القاتم إلى الأسود والأحمر ، وقد يظهر على الفخار المصبوغ وغير المصبوغ الخشن ، فضلاً عن الفخارِ الخشن ذي اللون الأخضر. وفي الطبقات المبكرة جداً زينت الطاسات غالباً بالشيفرون والخطوط المتعرجة من الخارج وُزينت بأشكال هندسية مثلثات تنتهي بالداخل، فالتصميمات كانت هندسية ولا توجد تصميمات طبيعية ، ويبدو أنه هناك اتجاه في تقليل النقوش . إن استخدام تعدد الأحزمة الأفقية والأشكال المتنوعة مع تأليف للصليب المتقاطع في الوسط هو من بقايا فخار سامراء السابق. ولكن الأشكال قد تنوعت لم تعد تشبه ه. فهذه تشمل على تنوع في الطاسات قسم منها له قواعد حلقية، وصحون كبيرة وكؤوس ، فضلاً عن الجرار الكروية ومثل هذه الأشكال ظهرت أيضاً في صناعة سامراء . وقد تأكد

هذا التداخل من خلال التنقيبات التي أجريت في حوض حمرين في موقع عباده، إذ أبانت التنقيبات في هذا الموقع تداخل فخار سامراء مع فخار العبيد الأول في الطبقة الثالثة، وفخار العبيد الثاني (حجي محمد) مع فخار حلف في الطبقة الثانية [24]. وقد تأكد هذا التداخل في موقع جوخه مامي من قبل جوان أوتس ، وقد أُرخت هذه المرحلة الانتقالية سامراء / العبيد بواسطة كاربون 14 بحدود 4900 ق.م.[25]. ووجد ما يماثل هذا الدور في طبقة سوسة A في جعفر أبادالذي له علاقة بفخار سامراء.

عُرفت حضارة اريدو من عدة مواقع في سهل وادي الرافدين ، وحول أريدو وأور ووصلت إلى ساحل الخليج العربي والأراضي العشبية في خوزستان عند حافات جبال زاكروس وعلى الرغم من الاكتشافات الكثيرة والتي تعود إلى هذه الفترة لم يعثر إلى الآن على ما هو أقدم من حضارة اريدو .

وقد تبين بأن فخار اريدو يستمد جذوره من الثقافه التي سبقته في شمال ووسط العراق ، واستخدم الفخراني العجلة البطيئة في عمل بعض أوانيه، وقد أشير إلى ذلك فيما سبق .

صناعة فخار العبيد الثاني (دور حجي محمد) (شكل 9)

استمدت هذه الصناعة جذورها من فخار العبيد الأول الذي ظهر لأول مرة في موقع حجي محمد، وقد حاول الفخراني في هذا الدور استخدام أكثر من لون في زخرفة الأواني فأدخل اللون البني الغامق ، والبنفسجي الغامق ، والأخضر الفاتح ، والأحمر الفاتح . وتتميز زخرفة هذا الفخار بطابع واحد وتحمل أرضيته الكثير من الأواني، وخطوط منحنية وقد تكون منحدرة من شكل الصليب المعكوف .

(24) Jasim, S. A.; 1983: "Excavations at Tell Abada a Preliminary Report". Iraq. 37: pp. 170-181.

(25) Oates, J.; 1972: "Radiocarbon Date from Choga Mami", Iraq 34: p. 50.

ويعدّ هذا النوع من الفخار أكثر تقدماً من الطور السابق ، ويمكن أن يطلق عليه طور العبيد الثاني الذي انتشر في معظم القسم الجنوبي من السهل الرسوبي كما وصل إلى رأس العميه ، وإلى حمرين ، وجوخه أمامي وظهر ما يماثله في سوسه B في الطبقات السفلى من جوي (Jowi) في إيران كما أظهر تشابهاً مع فخار شمال العراق وربما كان له اتصال مباشر مع فخار حلف[26].

صناعة فخار العبيد الثالث والرابع(موقع العبيد) (شكل 10)

تسود المنطقة صناعة جديدة مستمدة جذورها من صناعة العبيد الثاني ، وكُشفت لأول مرة في موقع العبيد ، ويتميز فخار هذا الدور بزخرفته الجميلة ، ويظهر على وجه الآنية وكأنه قطعة زخرفية واحدة . وتحمل الزخرفة على الأواني خطوط متوازية أو متقاطعة أو متعرجة ذات ألوان سوداء، أو حمراء بنية، وسطوح مخضرة وقد ظهرت مثل هذه الزخارف في موضع اور الذي امتاز بزخارفه المعقدة والتي تميل إلى الإسراف في اللون، ومع ذلك فإن هذه الزخرفة تبدو أكثر إتقاناً من زخارف حضارة العبيد في بعض المواقع . كما يمتاز هذا العصر بكثرة صناعة الطاسات والجرار خاصة الجرار التي تشبه السلحفاة . ويمكن تقسيم هذا الفخار إلى نوعينِ: الناعم والخشن ، والفخار الناعم محروق بشدة وبطريقة جيدة ومصنوع بواسطة العجلة البطيئة . أما الفخار الخشن فمحروق بطريقة جيدة ومصنوع باليد وبالعجلة البطيئة .

وفي أواخر أدوار حضارة العبيد أصبح طلاء الفخار غير معتنى به ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى استعمال المعادن التي كان لها أثره ا الكبير في التقليل من صناعة الفخار، وقد يكون لظهور عجلة الفخار خلال التحول إلى المرحلة التالية

(26) Le Breton, L.; 1957: "The Early Period at Susa, Mesopotamia Relations". Iraq 19: p. 86.

أثره أيضاً في انخفاض الطلاء ، ومن ثم اختفاء الفخار المطلي ، ووجد الفخار العبيدي في مواقع جنوب العراق في اريدو، واور، والوركاء، ونفر، وحاج محمد، ولكش، والعويلي، والعقير، وفي حمرين من تل عباده، ومظهور وفي مواقع أخرى.

أما في الشمال فقد ظهر في مواقع الأربجية وتبه كوره ، ويارم تبه. وأ متد انتشاره إلى بلاد الشام ووصل إلى سواحل البحر المتوسط[27]، كما انتشر أيضاً في مواقع من الخليج العربي، أما في بلاد عيلام فقد ظهر الفخار العبيدي في موقع سوسة (A) مع اختلاف في بعض الأشكال والزخارف وبعدها ظهر الفخار الأحمر الذي يعود إلى حضارة الوركاء .

أظهر فخار العبيد المبكر أنه متأثر بصناعة الفخار في الثقافتين السابقتين اريدو، وحجي محمد، وتغلب على زينته الأشكال الهندسية من الخطوط المستقيمة ، والمتعرجة، والمثلثات وغيرها ، أما فخار المرحلة المتأخرة من ثقافه العبيد فتزينه تصميمات من أشرطة وخطوط عريضة مستقيمة ومقوسة كما تتضمن زينته أحياناً أشكالاً نباتية مثل الورد وأوراق الأشجار .

وتتميز صناعة هذه المرحلة المتأخرة بقلة سمك جدران أوانيهإذ كشفت بعض النمذج المأخوذة من موقع اريدو أن السمك يشبه قشرة البيضة كما يقل في زينته تمثيل الأشكال الحية باستثناء المناطق الشمالية القليلة تأثير حضارة حلفواضحاً فيها.

ويلاحظ أيضاً أن فخار العبيد يزدان أحياناً بالصنابير والأذان الصغيرة والمقابض . وذلك ما لم نألفه من قبل وازداد في عصر حضارة الوركاء وأصبح من أهم مميزاته فضلاً عن أن غالبية الفخار يتميز بلون واحد ، وبصناعته على عجلة الفخار.

(27) Le Breton, L., "The Early Periods at Susa". Op. Cit., p. 41.

وهناك نوعية مميزة من فخار العبيد هي إناء يشبه التنكه، وله مقبض طويل مائل إلى الخارج . وقد عُثر على هذه النوعية من الآنية الفخارية في موقع اريدو وموقع تبه كوره في الشمال ، وهي من الإنتاج الخاص بثقافة العبيد إذ اختفت هذه النوعية من الفخار تماماً بعد هذا العصر .

وفي موقع اريدو تظهر هذه الآنية لأول مرة في الطبقة (13) التي ترجع إلى ثقافه حجي محمد ، ولكنها تمثل بعد ذلك في كل طبقة من الطبقات (12- 8) الخاص بعصر بثقافة العبيد . ونظراً للعثور على إحدى هذه الآنية في معبد الطبقة (8) باريدو وكانت مملوءة لعظام السمك ، فقد أطلق على هذه النوعية المميزة من الآنية الفخارية تسمية "تنكة السمك" ، وتم اكتشاف مثل هذه النوعية من الآنية الفخارية بموقع تبه كوره ، أي أنها ترجع إلى بداية عصر العبيد ، وهي ملونة باللون الأحمر القرمزي، وتزينها بعض الخطوط المستقيمة والمتموجة .

ويرجح "مالوان" أن هذه الآنية من موطن أصلي واحد ، وأنه يمكن إرجاعها إلى الأصل الجنوبي باعتبار أنها استمرت في الجنوب مرحلة زمنية أطول في معظم ثقافة العبيد ، وقدمت الطبقات (13- 8) باريدو عدداً كبيراً منها لا يق لّ عن 31 إناء[28]. أرخت ثقافة العبيد بواسطة كاربون 14 إلى النصف الثاني من الألف الخامس بحدود 4325 ق.م.[29].

صناعة فخار الوركاء : (الوركاء الطبقات 12-6) (شكل 11)

انتهى دور الفخار الملون الذي كان حتى ذلك الوقت هو المميز لثقافات العراق ، وحل محله فخار غير ملون أو مغطى بخطوط حمراء أو رمادية ، وقد زخرفت الأواني بأشكال محفورة على هيئة المشط غالبا ً وأشكال هندسية بسيطة.

(28) Ibid, p. 396.

(29) Mellaart, J.; "Ealiest Civilization", Op. Cit., p. 129

وتعد الأواني ذات العرى الملتوية سائدة وكذلك الجرار ذات الصنبور الملتوي وقد صُنع هذا الفخار على دولاب فخار يدور ببطء. وقد عاصر فخار الوركاء الملون هذا في البداية فخار العبيد الملون ثم حلّ مكانه. ويمكن اعتبار الحد الفاصل بين فخار الوركاء المبكر، وعصر الوركاء هي تلك الطبقة (H) التي عثر عليها في اور التي تعلو طبقة الترسيب الطوفاني بهذا الموقع ويطلق عليها تسمية "طبقة الأفران".

ويمكن أن ينسب ما عثر عليه من آثار هذه الطبقة إلى بداية عصر حضارة الوركاء وقد كشف في قاعها فخار العبيد المصنوع باليد ثم حلّ محله بعد ذلك فخار الوركاء[30] .

ومن فخار الوركاء ما هو غير ملون ، وهو الفخار البسيط الذي تقدم بعض نوعياته أشكالاً مميزة لفخار الوركاء ، كالجرا ر ذات الصنابير ، ومنها الصنابير المستقيمة أسفل الحافة مباشرة وعند كتف الإناء ، والصنابير المقوسة التي تعد تطوراً وابتكاراً خاصاً بعصر حضارة الوركاء واقتصر على القسم الجنوبي فقط من العراق إذ لا تمثل الآنية ذات الصنابير المقوسة في القسم الشمالي .

ومن الفخار البسيط أيضاً الجرار والآنية ذات المقابض وذات الآذان ، وقد عُرفا في عصر حضارة العبيد ولكن شاع استخدامهما في عصر حضارة الوركاء، ومن نوعيات هذا الفخار أيضاً ما يطلق عليه تسمية "الآنية النذرية" وهي آنية خشنة مصنوعة باليد، تم تحديد تاريخ الطبقات الأولى في الوركاء بواسطة كاربون 14 إلى 4115 ± 160 ق.م.) .

أما عن انتشار فخار الوركاء فقد شمل المنطقة الجنوبية والوسطى في منطقة ديالى وحمرين وتلال شهر زور عند نهر ديالى والتلال المجاورة لسد دوكان على

(30) Ibid, pp. 28-30.

الزاب الأسفل . كما يسود فخار الوركاء في طبقات تل قالينج اغا ، وكانت نينوى أو المناطق الشمالية التي كشف فيها عن فخار الوركاء في المجس العميق الذي أجراه "مالوان" في تل قونيجق ، فقد عُثر في الطبقة 3 ، 4 على فخار الوركاء بينما تضم بداية الطبقة 3 حضارة العبيد وأن نينوى 4 ترجع إلى أواخر حضارة الوركاء ، أما نينوى (5) فيمكن تأرختها بمرحلة حميدة نصر ، كما غطى فخار الوركاء مواقع سد الموصل، ووصل خارج العراق في بلاد الشام في تل براك ، وعُثر أيضاً على فخاريات الوركاء في المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل سلالات العصر الجرزي المتأخر في مصر .

إن حرفة الفخار مهنة تقليدية تنتقل من الآباء إلى الأبناء وبما أن الفخاريين العراقيين القدماء قد مارسوا صناعة الفخار منذ الفترات المبكرة وأرسوا قواعدها ، وذلك ما أوضحناه من قبل فإن فخار الوركاء من الناحيتين الزمنية والطبقية يأتي ويتداخل مع فخار العبيد ويستمد منه جذوره والاختلافات في الأشكال والزخارف ما هي إلا إحدى متطلبات المرحلة الجديدة وهي ظهور المدن والمعابد المتطورة والكتابة والأختام الأسطوانية وتطور الفنون بما فيها النحت البارز والمدور وتطور صناعة التعدين والتي دفعت الفخاريين إلى الاهتمام بصناعة الأواني النفعية بدلاً من التركيز على الجوانب الدقيقة ذات التفاصيل كالنقوش والزخارف على الفخاريات . ولم يكن سكان الوركاء رواداً جدداً دخلوا العراق ، بل جذورهم تعود إلى العصور السابقة .

صناعة الفخار في عصر فجر التاريخ (شكل 11 ، 12 ، 13)

يشتمل هذا العصر على الطبقات 5-4 في الوركاء وعصر جمدة نصر وعصر فجر السلالات الأول (شكل 5).

استمرت صناعة الفخار في مرحلة الوركاء (5-4) بإنتاج فخار ذ ي اللون الواحد والبسيط ، كما أظهرت في أواخر هذه المرحلة نوعية مميزة من الفخار المتعدد الألوان شاع استخدامها في مرحلة جمدة نصر التالية (الوركاء 3) وأطلق عليها تسمية فخار جمدة نصر نسبةً إلى الموقع الذي يحمل هذا الاسم والذي كشف فيه أولاً عن هذه النوعية من الفخار ، وهو تل صغير في شمال أرض بابل قرب تل العقير، وفخار جمده نصر مصنوع على عجلة الفخار، وهو جيد ا لإحراق ، والصقل، ومن أحجام مختلفة . وأغلب آنيته ذات شكل كروي منتفخ ، ولها قواعد مسطحة أو مقوسة، وزودت فوهاتها أحياناً بسدادات من الطين لتغطيتها.

أما عن زينة فخار جمدة نصر فتشغل غالباً الجزء العلوي من الإناء بما فيه الرقبة، وهي تتكون من أشكال هندسية سوداء وحمراء فوق أرضية فاتحة اللون. أما باقي الإناء فلا تتجاوز زينته طلاء بلون أحمر أو مائل للحمرة ، ومن هذه الأشكال الهندسية المثلثات ، والمربعات ، والأشرطة العريضة ، والخطوط المتقاطعة، والمستقيمة والممموجة ، كما أن منها ما يجمع بين الأشكال الهندسية ، والأشكال الطبيعية الحية .

وفخار جمدة نصر من إنتاج القسم الجنوبي من العراق الذي انتشر في كثير من المواقع مثل اور والوركاء وكيش وتل العقير ، ونفر فضلاً عن بعض مواقع التخوم الشرقية مثل خفاجي وتل اسمر ومواقع حمرين حيث عرف لدى الباحثين باسم الفخار ا لقرمزي (Scarlet Ware) ووصل إلى مناطق محافظة التأميم والموصل حيث أن فخار نينوى (IV) مشابه لفخار جمده نصر ، وعثر عليه في

عدة مواقع من بحيرة الموصل مثل: تل عرب وسلال وتل كوثان وكذلك في تبه كوره وتلول الثلاثات ويحمل هذا الفخار صفات جديدة لافتة للنظر ويعتبر بمثابة صناعة جديدة متميزة[31].

وُجد فخار نينوى (V) ممثلاً بثلاث أنواع منها البسيط ، المحزز أو المحفور ، والمصبوغ ، ويتميز الفخار المصبوغ بأشكال رئيسة أربعة مع وجود تغيرات في كل منها كالأقداح المدورة في قسمها الأسفل ، والكؤوس ذات الساق والأواني ذات الشكل الجؤجؤي والجرار الكبيرة ذات البدن البيضوي الشكل وله كتف بارز أحياناً.

أما الزخارف فتضم رسوم الحيوانات، وأهم المشاهد الجديرة بالملاحظة هي أرتال الغزلان، والماعز ذوات القرون المنحية والرقاب الطويلة والتي تبدو بشكل زرافات ، أما النقوش الهندسية فهي بصورة عامة عبارة عن نموذج صغيرة ، تضليل متعارض ، لأقواس ذات مركز واحد ، مثلثات سوداء ، معينات ومستطيلات وزخارف متشابكة وخطوط متعرجة، أما الألوان فمتنوعة من الأسود المعتم إلى الأسود المائل إلى الإخضرار والأسود البني ، والأحمر الناصع . وقد تم تنفيذ معظم النقوش فوق طينة صفراء بسيطة واستعمل الطلاء أحياناً . وقد تم ترتيب هذه النقوش بهيئة أفقية في خطوط مستمرة أو متوازية ، كما رتبت أحياناً بصورة عمودية .

صناعة الفخار في عصر فجر السلالات الأول (شكل 14)

تطورت صناعة بعض الأواني الفخارية خلال هذا العصر فالجرار أصبحت مزينة بعرى ، وانعدمت فيها الرقبة كما أظهرت بعض النقوش اختلافاً عما كان مألوفاً في عصر جمده نصر ولا شك أن هذا أسلوب جديد ظهر في هذه الفترة. ومن

(31) Killick, R., and Black, J.; 1985: "Excavation in Iraq 1983-84". Iraq. Vol. XIVII. pp. 215-239

الأواني التي ميزت هذه المرحلة والمنتشرة كثيراً في المواقع العراقية الأقداح القمعية ذات القواعد الصلدة (Chalice Solid) وربما كانت تستخدم للأغراض المنزلية أو الطقوسية . كما شاعت في هذه الفترة الجرار ذات الاستطالة، ولها كتف بارز على شكل مثلث (Oblong Jar) ربما يمثل مقبض ، ومن الخصائص الأخرى لهذا العصر صناعة الأواني السوداء أو الرمادية اللون غالباً والمصقولة وهي تقليد لأواني حجرية متزامنة لها وأواني غير ملونة والمزخرفة بحزوز غائرة مثل هذه النقوش مثلث على الأوعية ذات الأربع عرى، ومن الأشكال الأخرى التي ميزت هذا العصر الحوامل الطويلة (tall stands).

أما الألوان التي استخدمت في زخرفة الأواني فكانت متعددة (Polychrome) ويغلب عليها اللون الأحمر ومشتقاته وقد أطلق على فخار هذا العصر خاصة الذي ظهر في منطقة ديالى بالفخار القرمزي، ووجد ما يماثل هذا الفخار في كيش، وجمده نصر، واور، والعبيد، ووصل إلى مناطق بلاد عيلام حيث عثر في سوسة على فخار يوازي فخار عصر فجر السلالات بما فيه الجرار الصغيرة المقوسة القاعدة المنتفخة البدن والضيقة الرقبة والأقداح الطويلة والمفلطحة[32].

صناعة الفخار في عصر فجر السلالات الثاني والثالث (شكل 15 ، 16)

لم تظهر في هذه المرحلة صناعة جديدة بقدر ما هي استمرار لما كان معروفاً في المرحلة السابقة مع تطور ببعض الأشكال أو الزخارف فقد استمرت زخرفة التحزيز واستخدام القشرة الرقيقة التي تغطي الأواني واعتمدت الصناعة على عجلة الفخار كما هومألوف سابقاً ما عدا الأواني الكبيرة القدور التي عملت باليد.

(32) Delougaz, p. "Pottery from the Diyla Region". (OIP). Vol. LXIII. Chicago.pp.136-138

أدخل الفخراني في هذا العصر نوعاً جديداً من الجرار ذات المصبات والجرار ذات الأكتاف المحززة الواسعة الفوهة والجرار ذات الأضلاع البارزة التي تزينها المصبات والجرار المضلعة الخالية من المصبات .

وظهر استمرار للحوامل المجوفة وذات الثقوب في البدن من عصر فجر السلالات الأول إلى الثاني ووجد أيضاً في هذا العصر عدد من الحوامل ذات الأشكال المختلفة وغير الهزخرفة والتي كانت تستخدم لأغراض نفعية داخل المنازل، ولكن أهم ما يمتاز به هذا العصر هو صناعة الدوارق الكروية البدن، والمقوسة القاعدة ، والأسطوانية الرقبة ذات حافة مشطوفة بارزة نحو الخارج، ومن الخصائص الأخرى والتي ظهرت في معظم مراحل عصر فجر السلالات هو ما يعرف بحاملات الفواكه (fruit stands) والجرار ذات المقابض المستقيمة المفردة والتي يطلق عليها في السابق اسم مقابض الآلهة (goddess handles) .

واستمرت الطاسات القمعية الشكل العديمة الحافة ذات القاعدة المسطحة أو المائلة الحافة إلى الداخل والتي ظهرت لأول مرة في عصر فجر السلالات الأول ولكن وُجدت منها في هذا العصر أعداد كبيرة .

ومن الأوعية الجديدة التي ظهرت في هذا العصر شكل غريب يطلق عليه دوارق الحاج (Pilgrism Flasks) (الزمزمية) وقد استخدم في منطقة الشرق الأدنئ القديم، واستمر استعماله حتى الوقت الحاضر .

ومن الأواني الأخرى التي تطورت في هذا العصر الأوعية الكبيرة ذات المصبات فضلاً عن الأوعية التي ربما كانت تستخدم للأغراض المنزلية كموقد أو مجمرة وربما كان يستفاد منها كوعاء لوضع الطعام للحيوانات المنزلية أما الأوعية ذات الأشكال الحيوانية التي تزين البدن والتي استمرت في عصر فجر السلالات

الثالث خاصة زخرفة الأكباش فقد أصبحت في هذا العصر أكثر شعبية وغالباً ما تزود هذه بعجلات وقد بقي هذا الشكل حتى فترة متأخرة دون تغير كبير .

ومن الخصائص الأخرى التي ظهرت واضحة خلال هذا العصر هو اختفاء زخرفة الألوان بينما بقيت المعالجة السطحية ولكن بصورة أقل واستمرت زخرفة تحزيز الأواني وتطورت خلال عصر فجر السلالات الثالث مثل هذه الزخرفة وجدت على أكتاف الجرار الكبيرة خصوصاً ذات المقابض القائمة وعلى قواعد الأواني الحاملة للفواكه ، كما شاع تضليع الأواني خاصة الجرار عند منطقة الكتف والتي زينت أيضاً بزخرفة الأفعى أو بأشكال حيوانية وبتصاميم تحزيزية أو أقواس ملئت بمادة بيضاء لاسيما على الفخاريات الرمادية الشكل [33] والتي عثر عليها في مواقع عديدة .

انتشرت صناعة عصر فجر السلالات الثالث أكثر من الدورين السابقين والسبب في ذلك يعود إلى ظهور المدن الكبيرة خلال هذه المرحلة في منطقة ديالى، وفي كيش، واور، فاره، وتلو، أشور وماري، أما ما يعاصره في بلاد عيلام ففخاريات هذا العصر محدودة.

صناعة الفخار الأكدى والسومري الحديث (شكل 17 ، 18)

استمرت صناعة الأنماط السابقة كالجرار المضلعة أو جرار التخزين والمجامر، أو ما أطلعتنا عليه بأوعية إطعام الحيوانات، وظهرت أشكال جديدة في هذا العصر وأصبحت أكثر شيوعاً من السابق وهي الطاسات القمعية ذات الحافة المائلة نحو الداخل، كما ظهرت الجرار المتوسطة الحجم بكثرة خاصة ذات القواعد الحلقية والتي شاعت بعد ذلك في الفترات الأخرى في العراق .

(33) Delougaz, p. Pottery from the Diyala. Op. Cit., Pl.89, 91C, 92g, 93a,93, 95,100g.

أما الزخارف فكانت محدودة على قسم من الأواني ومصقولة ومضلعة ويظهرأن معظمها معمول بالدولاب. وقد وجدت مخلفات هذا العصر في المقبرة الملكية في اور وهي تمثل أفضل ما جاءنا من هذا العصر ، وكذلك في تلو وفي منطقة ديالى وفي نوزي وأشور ومواقع بحيرة سد الموصل و لم يطرأ تغير على صناعة الفخار خلال العصر السومري الحديث ، والحقيقة ان هناك اضطرابا في هذه الفترة بسبب التداخل في الصناعة بين العصر الأكدي ، والبابلي القديم ، والاحتلال الكوتي ولهذا فإن هذه المرحلة تعد مرحلة انتقالية ، والملاحظ على فخارياتها أن الأوعية فيها صارت أصغر حجماً وأكثر دقة، وبدا الفخراني يبحث عن الطينة الأفضل.

تُعد الطاسات المضلعة والواسعة الفوهة ، وذات الحافة العريضة المسطحة والبارزة نحو الخارج أكثر شيوعاً والتي ظهرت لأول مرة في العصر الأكدي فضلاً عن الدوارق القرفصية الشكل ذات القاعدة المقوسة والتي ظهرت منذ عصر فجر السلالات واستمرت في العصر الأكدي والسومري وشاعت في العصر البابلي القديم ، كما ظهرت الأقداح ذات الأبدان الرقيقة الجدران ومسارج من الفخار وأوعية لها مصبات صغيرة الشكل [34] . كما استمرت الأوعية المنزلية الخاصة بإطعام الحيوانات ذات المقابض الثلاثة أو الأربعة . و وجدت بقايا هذا العصر في مواقع ديالى، وفي اور، وتلو، ولكش ،ونفر، وفي أشور .

(34) Ibid, (B. 545-22b), Pl. 113I , 114f, 113b (B151-210), (B-706-460)

صناعة الفخار في العصر البابلي القديم (شكل 19 ، 20)

يمكن تقسيم صناعة الفخار في هذا العصر إلى مرحلتين أساسيتين : الأولى و يطلق عليها فترة أيسن لارسا عندما كانت البلاد مقسمة إلى دويلات حاكمة، والثانية مرحلة توحيد البلاد على يد حمورابي (سلالة بابل الأولى) .

من الناحية الآثارية مرت صناعة الفخار خلال هذا العصر بثلاث أدوار متداخلة شخصت طبقياً في مواقع ديالى وحمرين، وقسمت إلى العصر البابلي القديم المبكر، والمتوسط، والمتأخر .

فصناعة الفخار في الدور الأول هي عبارة عن مرحلة انتقالية من العصر السومري الحديث فكانت الصناعة محدودة عندما كانت الدويلات الأمورية في بداية تشكيلها وخلال الدور الثاني عندما نمت هذه الدويلات وازدهرت واستقلت وانفصلت عن الحكم المركزي ، فشاعت صناعة الفخار وانتشرت أيما انتشار وأصبحت فخاريات هذه الفترة هي الميزة التي امتاز بها فخار أيسن لارسا. أما الدور الأخير وهي مرحلة توحيد السلالات الحاكمة تحت حكم مركزي ضم كلاً من الشمال والجنوب مما أدى إلى انخفاض حاد في صناعة أنواع متعددة من الفخار ربما بسبب الحروب التي خاضها حمورابي ولكن هناك تركيز على صناعة جيدة ومحدودة وقد بَدَا واضحاً على بعض الأواني والتي انتقل تأثيرها إلى العصر الكشي.

إن أهم ما يمتاز به فخار العصر البابلي القديم بصورة عامة بأنه مصنوع على عجلة الفخار السريع وجدران الأوعية رقيقة ومشوية بدرجات حرارة عالية. وتندر فيه النقوش والزخارف والأصباغ ما عدا بعض الزخارف على حواف الأوعية أو على أكتافها والزخارف بسيطة على شكل حزوز أو زخارف مضغوطة أو مضافة ، كما تعددت أشكال الأواني الفخارية في الدور الأوسط من العصر البابلي القديم وذلك لتعدد حاجات الإنسان وتنوع رغباته . فقد ظهرت أنواع كثيرة

ومختلفة الأشكال والحجوم من الجرار فمنها الكبيرة ذات قواعد وحافات وأبدان مختلفة. وأهم الأواني التي تميز هذا العصر هي الجرار الرمادية المزخرفة بأشكال مختلفة والمملوءة بمادة بيضاء جبسية والمصافي ذات القواعد المكورة ، والصغيرة الحجم ، والكؤوس المختلفة الأحجام خاصة الكؤوس الجؤجؤية ذات البروز الخارجي عند القاعدة والأبدان الأسطوانية الشكل والحافات البارزة وظهر ت في هذا العصر الدوارق الصغيرة المكورة القاعدة وهي ذات أعناق ضيقة، والطاسات القمعية العميقة والضحلة والتي تشبه الطاسات التي ظهرت في عصر فجر السلالات والعصر الأكدي كما شاع استخدام أوعية إطعام الحيوانات المنزلية ذات المقابض الكبيرة والتي ظهرت أيضاً في العصر الأكدي وعصر فجر السلالات وظهر استخدام المباخر والمسارج الفخارية فضلاً عن الطاسات الصغيرة ثلاثية القاعدة (tripod) وأهم ما يمتاز به هذا العصر هي التشكيلات الزخرفية عند فوهات الجرار الكبيرة والوسيطة الحجم والتي تزينها الأضلاع المحززة، هذه التشكيلات عبارة عن ندب أسطوانية ذات أشكال مختلفة أما الألوان فكانت أحادية وبسيطة عُمِلَت منها وحدات زخرفية بسيطة سواء أكانت على الحافة أو على الرقبة وفي بعض الحالات في منطقة الكتف[35].

أما الفترة الأخيرة من هذا العصر وهي فترة التوسع السياسي في جنوب وشمال العراق (عصر حمورابي) فقد تحسنت فيه الصناعة فيها ولكن قل إنتاجها . واستمرت صناعات بعض الأواني كالأقداح والجرار واسعة الفوهة كما أصبحت

(35) Yaseen, G. T.; 1987: A Study of the Old Babylonian Pottery from the Hamrin Basin. Iraq. With Special Reference to Tell Halawa: Ph. D. Thesis, Unpublished Birmingham University, Englannd. p. 94.

جدران الأوعية أكثر رقة واختفت الأكتاف البارزة وأصبحت متناسقة مع البدن، أنَّ الأواني مفخورة فخراً جيداً .

ومن الملاحظ أن الفترات الحضارية اعتباراً من نهاية عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم أن الصناعة قد حافظت على أشكالها المبسطة ذات الأغراض النفعية دون إنتاج أنواع لها خاصية جمالية ، ربما كان لتطور صناعة المعدن والاضطرابات السياسية دورهما الفعال في عدم الاهتمام بالناحية الجمالية.

صناعة الفخار الكشي والحوري (شكل 21 ، 22)

على الرغم من أن الكشيين والحوريين من الأقوام الأجنبية التي دخلت إلى العراق، ولكن الصناعة المحلية استمرت وأدخل عليها تحسين في بعض الأشكال والزخارف التي تنسجم ومتطلبات ذلك العصر، فقد استمرت صناعة الفخار البابلي القديم وتداخلت مع صناعة الفخار الكشي مع تطور بأشكال الأواني خاصة الجرار التي أصبحت طويلة قمعية ذات شكل مغزلي ، واختفت الأكتاف البارزة وظهرت الرقاب الطويلة والمتوسطة الأسطوانية الشكل ، والقواعد الصغيرة المسطحة والبارزة نحو الخارج. أما الكؤوس فأصبحت ذات أبدان كروية الشكل ورقاب أسطوانية وواسعة والفوهات عريضة، والحافات بارزة والقواعد صغيرة مرتفعة، أما الطاسات والصحون فهي تماثل ما كان سائداً من العصر البابلي القديم، والحقيقة في كثير من الحالات يصعب التمييز بين فخاريات العصر الكشي والعصر البابلي القديم (الفترة المتأخرة منه) . وقد وجدت فخاريات العصر الكشي في مناطق عدة من العراق ، أهمها المنطقة الوسطية في مناطق ديالى، وحمرين، وعقرقوف، وفي الجنوب في نفر ، ولارسا ، ولكش ، والوركاء بينما يلاحظ أن تأثيره أي العصر

الكشي قليل في الأقسام الشمالية من العراق ، ولكن وصل إلى مناطق الخليج العربي وبلاد عيلام[36].

أما الفخار الحوري فقد ظهر في مناطق كركوك ، في موقع نوزي (بورغان تبه) وفي تل الفخار ، فيمكن وصف فخار نوزي عبارة عن فخار هش ممثل بأوعية نوزي الملونة بالأبيض على خلفية قاتمة تمثل مواضيع مختلفة مثل هذه الأوعية ترجع إلى عصر المملكة الميتانية (حوالي 1475-1350 ق.م) المتركزة في شمال شرقي سوريا، وأهمها والأكثر شيوعاً الكؤوس الطويلة ذات القواعد الشبيهة بالزر.

ومن النماذج الأخرى والتي تعود إلى هذه الفترة هو ما عثر عليه في تل الفخار في القصر الأخضر خاصة الطاسات المفلطحة والعميقة وهي ذات ألوان رمادية فاتحة، وبرتقالية مصفرة، والصفراء المخضرة المعمولة بدولاب الفخار من مادة الطين المخلوط بالتبن المجروش وتغطيها طبقة رقيقة ملساء . أما الأقداح فلها جوانب عمودية مقوسة قليلاً إلى الداخل ذات حز يدور حول البدن وقاعدة قرصية الشكل وألوانها تنحصر بين اللون العسلي ، والبرتقالي المصفر، و أشكال هذه الأقداح تشبه الأقداح التي وجدت بكثرة في موقع نوزي والذي أرخ بصورة مضبوطة 1450-1350 ق.م[37].

صناعة الفخار الأشوري والبابلي الحديث (شكل 23 ، 24)

استمرت المظاهر الحضارية خلال الفترات المتأخرة طبعاً لما هو سائد في العصور السابقة ، ومنها صناعة الفخار والأساليب الفنية المتبعة فيها وتميزت فخاريات هذه الفترة بتنوع الأشكال الفخارية على الرغم من الصراع السياسي بين

(36) Carter, E.; 1969: "Elamite Pottery Ca 2000-1000 B.C.". JNES, Vol. 38, No. 2. pp. 126-127. Fig. 111-129.

(37) ياسين ، محمود : "تل الفخار" ، سومر، 1970م، العدد 26 ، جـ 1 -2، ص 51-72 ، 1977م، سومر 33، ص 59 .

بلاد أشور وبلاد بابل ، فقد شاع استخدام الجرار الكبيرة والمتوسطة في العصر الأشوري ، وكذلك الصحون والكؤوس والطاسات ومن الصعوبة أن تجد أشكالاً فخارية مميزة لهذه الفترة بقدر ما نلمسه من تحسين بعض الأواني وأحسن ما جاءنا من هذه الفترة من فخاريات والمؤرخة إلى العصر الأشوري الوسيط والحديث هو ما عثر عليه في مقبرتي آشور وحميدات في محافظة نينوى [38]. وقد أظهر الفخراني إمكانية في تناسق الشكل الخارجي للجدار على الرغم من كبر حجمها فقد ساد الشكل البيضوي مع قواعد صغيرة مقوسة ومسطحة ، وحافاتها مشظوفة نحو الخارج والأعناق قصيرة مقعرة غير واسعة والأكتاف مزينة بحزوز تماثل ما كان سائداً في العصر البابلي القديم . كما زينت إحداها ببعض الخطوط المتعرجة والمكسرة ذات ألوان سوداء وزرقاء مخضرة . هذه الألوان تماثل القرميد الأشوري المزجج .

أما الكؤوس الأشورية فقد أظهرت صناعة جيدة معمولة من طينة ناعمة تشبه الكؤوس التي سادت في عصر ايسن لارسا لها أبدان أسطوانية وحافات بارزة نحو الخارج وقواعد مسطحة ومقوسة . ومن الأواني الأخرى التي شاعت في هذه الفترة الصحون، والطوس العميقة والضحلة ذات الأجسام الجؤجؤية والحافات المشظوفة، والقواعد المسطحة والحلقية والمعمولة من طينة تبنية اللون وصناعتها متوسطة ، إحدها لها ثلاث قواعد بارزة نحو الخارج وبدن محزز تماثل ما وجد في العصر البابلي القديم ، ومن مميزات صناعة الفخار في هذه الفترة هي الحوامل الفخارية المفتوحة وهي ذات أبدان سميكة أسطوانية الشكل تتسع عند القاع. وقد شاع الفخار

(38) إبراهيم ، جابر خليل و أغا ، عبدالله أمين : "مدفن حميدات" ، سومر ، 1983م ، العدد 39 ، جـ 1-2، ص 164-168 . وانظر: عبد محمد جرو: القبور المكتشفة في أشور الموسم الثاني، 1979م، سومر 42 ، ص 42-64.

الأشوري في الأقسام الشمالية من العراق خاصة في محافظة نينوى ، وظهر في حمرين في موقع تل حداد .

أما صناعة الفخار في العصر البابلي الحديث فلم يحدث فيها أي تغيير ملموس في صناعة الأشكال والأساليب الزخرفية بقدر ما أدخل أسلوب التزجيج بالألوان البيضاء والخضراء المبيضة والصفراء وقد استخدم التزجيج في هذه الفترة على الطابوق في مدينة بابل . ومن الأواني المميزة لهذه الفترة هو الصحن المكتشف في مدينة الوركاء والمتميز بعمقه وبقاعدته البارزة ، ومن الأشكال التي تماثل الفترات السابقة الصحون القليلة الغور ذات الحافات البارزة نحو الخارج وعليها بعض الزخارف المختومة ، ومنها الجرار البيضوية الشكل ذات الأعناق القصيرة ، والفوهات الصغيرة ، والقواعد المسطحة والسميكة ، أما الكؤوس فقد تميزت ببدنها الأسطواني ذات القواعد الطويلة الضيقة المدببة النهاية التي أظهرت أكثر طولاً من القواعد التي عرفتْ في العصر البابلي القديم وفترة الاحتلال الكشي وكشفت فخاريات هذا العصر في مواقع جنوب ووسط العراق خاصة الطبقات العليا مثل مدينة بابل والوركاء ونفر والدير وكيش وأور وما اكتشف خلال المسح الذي قام به روبرت أدم في منطقة ديالى[39] وكذلك مكواير جبسن في مناطق السهل الرسوبي في منطقة كيش[40] . أما في الأقسام الشمالية فلا توجد أدلة واضحة على انتشار الفخار البابلي الحديث . ولعل سبب قلة اكتشاف الفخاريات في الفترات المتأخرة من العراق القديم يعود إلى تعرض القطر إلى الاحتلال الأجنبي المتمثل بدخول الفرس الأخمينين ، ومن ثم الاسكندر المقدوني ، والسلوقيين ، والبارثيين ،

(39) Adams, R.; 1965: Land behind Baghdad. Chicago

(40) Gibson, M.; 1972: The City and Area of Kish. Florida.

والساسانيين مما قاد الى تدمير معظم الطبقات العليا التي تعود إلى الفترات المتأخرة من العراق فضلاً عن العوارض الطبيعية التي تعرضت لها المواقع العراقية ، وعبث يد الإنسان في الوقت الحاضر .

وخلاصة القول وما تبين من خلال هذا البحث المقتضب عن صناعة الفخار في العراق القديم بأن هناك إمكانية كبيرة تمتع بها الفخراني في العراق القديم ، وكانت له الأسبقية في اختراع هذه الصناعة في منطقة الشرق الأدنى القديم ، واستطاع أن يعبر ع مَّا ما تجوس به نفسه واحتياجاته من خلال صناعة أشكال وأنواع مختلفة من الأواني ، و قد أظهر تقنية عالية في صناعة الفخار ، واستطاع أن يميز بين نوعين من الطين أحدهما صالح ، والأخر غير صالح ، وأجرى عليه عمليات التنقية والتصفية. وأحرقه بدرجات حرارة عالية كانت السبب في بقائه عبر الزمن شاهداً على هذه الحضارة، وطّور الصناعة اليدوية إلى صناعة معتمدة على دولاب الفخار، واستخدم ألواناً مختلفة في زخارفه وتوصل في النهاية قبل غيره إلى تزجيج الأواني الفخارية .

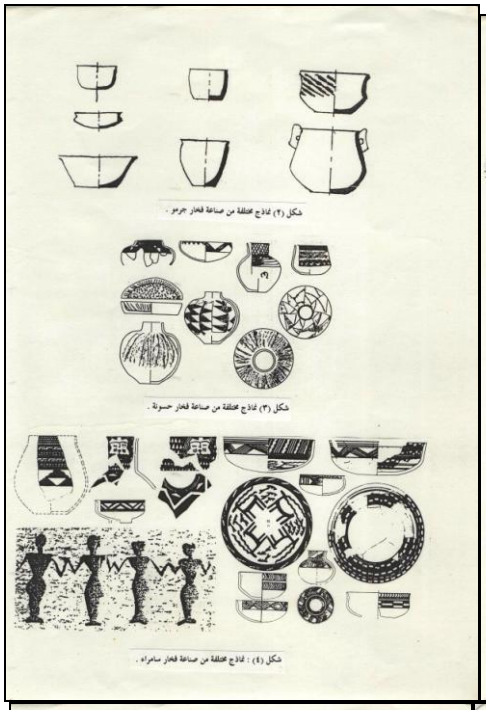

شكل (٢) نماذج مختلفة من صناعة فخار جرمو .

شكل (٣) نماذج مختلفة من صناعة فخار حسونة .

شكل (٤) : نماذج مختلفة من صناعة فخار سامراء .

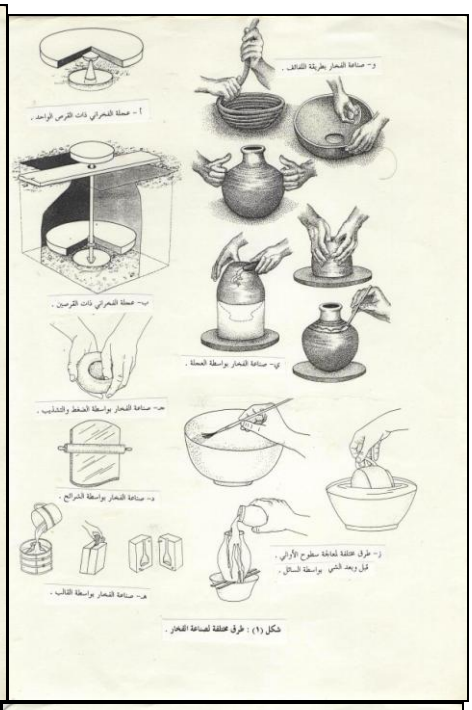

أ – عجلة الفخاري ذات القرص الواحد .

ب– عجلة الفخاري ذات القرصين .

جـ– صناعة الفخار بواسطة الضغط والتذليب .

د– صناعة الفخار بواسطة الشرائح .

هـ– صناعة الفخار بواسطة القالب .

و– صناعة الفخار بطريقة التلاقي .

ي– صناعة الفخار بواسطة العجلة .

ز– طرق مختلفة لمعالجة سطوح الأواني . قبل وبعد الشي بواسطة السائل .

شكل (١) : طرق مختلفة لصناعة الفخار .

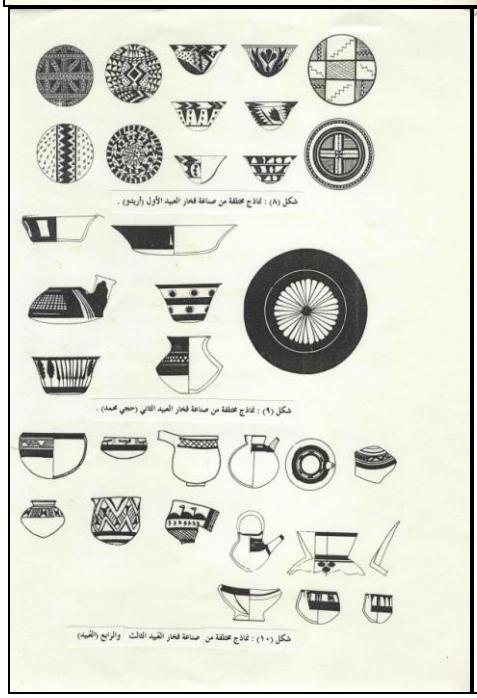

شكل (٨) : نماذج مختلفة من صناعة فخار العبيد الأول (أريدو) .

شكل (٩) : نماذج مختلفة من صناعة فخار العبيد الثاني (حجي محمد) .

شكل (١٠) : نماذج مختلفة من صناعة فخار العبيد الثالث والرابع (العبيد)

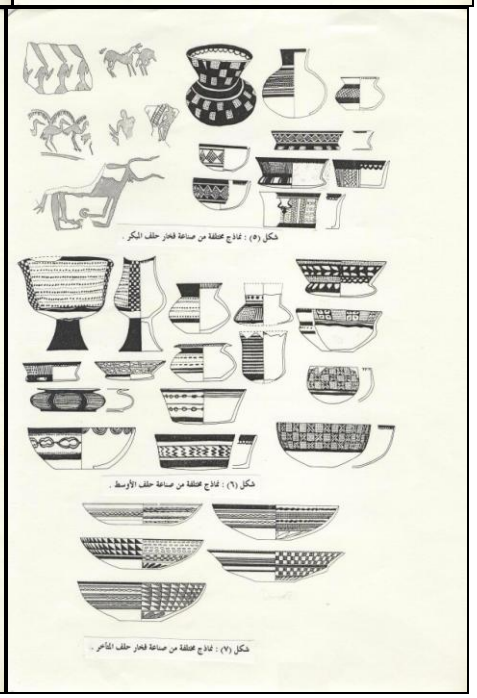

شكل (٥) : نماذج مختلفة من صناعة فخار حلف البكر .

شكل (٦) : نماذج مختلفة من صناعة حلف الأوسط .

شكل (٧) : نماذج مختلفة من صناعة فخار حلف المتأخر .

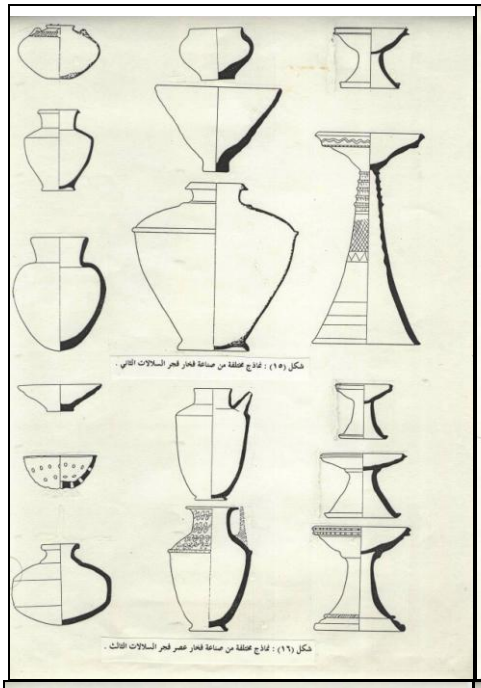

شكل (١٥) : نماذج مختلفة من صناعة فخار فجر السلالات الثاني .

شكل (١٦) : نماذج مختلفة من صناعة فخار عصر فجر السلالات الثالث .

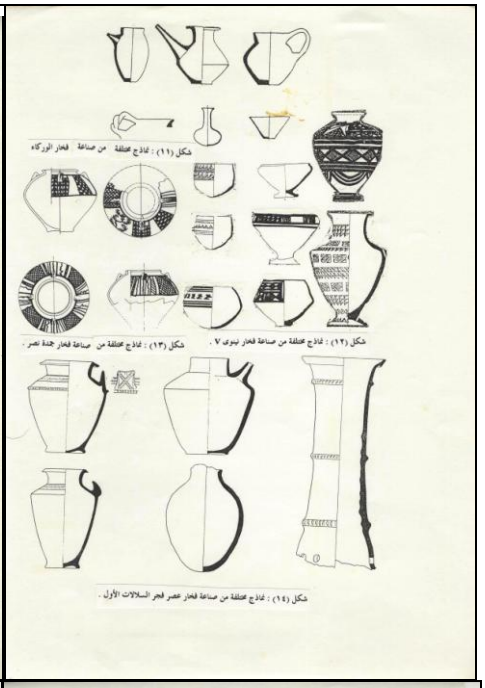

شكل (١١) : نماذج مختلفة من صناعة فخار الوركاء

شكل (١٢) : نماذج مختلفة من صناعة فخار نينوى ٧ .

شكل (١٣) : نماذج مختلفة من صناعة فخار جمدة نصر .

شكل (١٤) : نماذج مختلفة من صناعة فخار عصر فجر السلالات الأول .

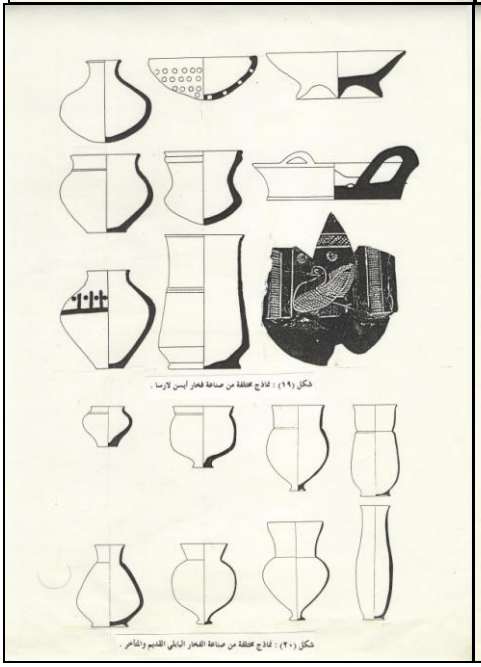

شكل (١٩) : نماذج مختلفة من صناعة فخار أيسن لارسا .

شكل (٢٠) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار البابلي القديم والمتأخر .

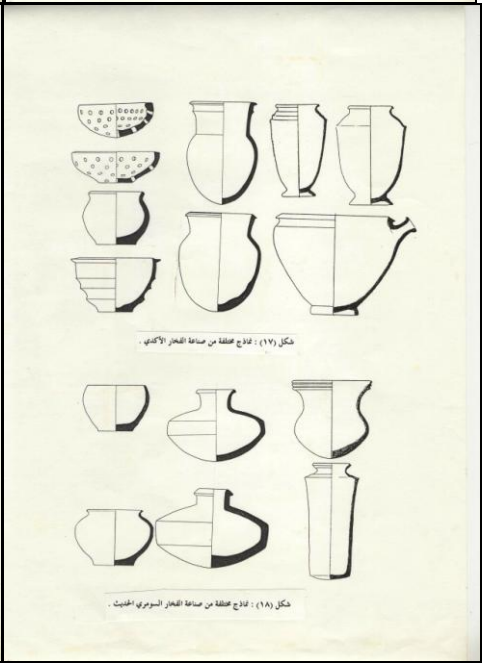

شكل (١٧) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار الأكادي .

شكل (١٨) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار السومري الحديث .

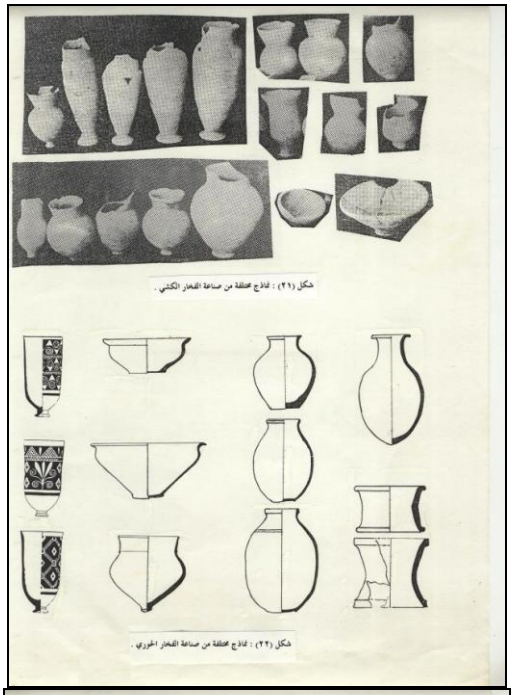

شكل (٢١) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار الكشي .

شكل (٢٢) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار الحوري .

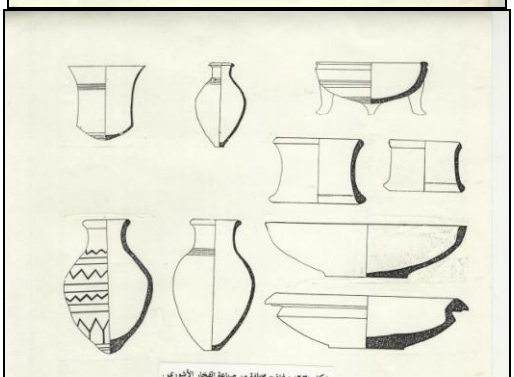

شكل (٢٣) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار الأشوري .

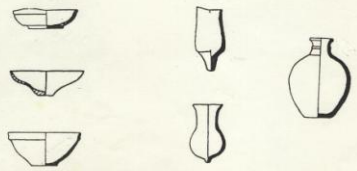

شكل (٢٤) : نماذج مختلفة من صناعة الفخار البابلي الحديث .

Abstract

Iraqi Pottery Industry from Early Times until the End of Ancient History

Pro. Dr. Gasān Tāha Yāseen [*]

The Ancient Mesopotamian civilization was characterized by its originality which stemmed from the land of Iraq and then grew, evolved and spread to distant areas. It went to a high degree of sophistication as a result of the rapid response that has taken place between the Iraqi people and the environment that had lived there. The Iraqi environment makes available the essentials of life in the form of water and clay for the construction of temples, palaces, houses, walls, ziggurat, cemeteries, statues and clay tablet.

The aim of this paper is to show that the pottery industry was one of the most important industries in ancient Iraq which had been known by Iraqi people since the second half of the Neolithic Period. It continued to evolve through the ancient and Islamic times as well as the present. The technical level reached by the Iraqi potters could be linked and driven by time and place. In terms of time it was determined by examining forms and types of pottery, decoration, and painting or by thermoluminess and magnetic methods. In terms of location it can be determined through the study of pottery material (clay). Using the modern scientific methods proved that the people of Mesopotamia had a high-tech pottery industry that had evolved over time.

(*) Dept. of Arch / The International Islamic University at Malaysia.